

يقول الحكمة من بقاء ومن يوت
الحكمة فقد أوفى خيراً كثيراً وما
ينبغي إلا أولو الألباب

المحكمة

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فيصنعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاثنين غرة رجب الحرام سنة ١٣١٩ - ١٩ أكتوبر (١٠) سنة ١٩٠١)

كرم حكمة الله في حب المحمودة الحقة^(١)

العالم الانساني كتاب المعبر ، وسفر المستبصر ، وكل قرن من
قرونه صفحة ، وكل جيل من الناس سطر فيه أو جملة ، ولنا في كل ماخطه
القلم الالهي عبدة ،

اول ما يفيدنا النظر فيه وقوفنا على احوال الشعوب في اطوارها
المختلفة وأدوارها المتبدلة فترى امماً عاتت وسمت وحلقت في جو المعالي
وجازت في الرفعة مسارح النظر ثم انحدرت بمردها وتدهورت وعفت
رسومها ولم يبق لها أثر الا في الروايات والاحاديث . ومنها أجيال كانت
في ثبي المدم ثم اكتست حاية الوجود واخذت من الاجتماع الانساني
مكان الهامة من الجسد ثم انطوت وأختت عليها امهات قشم . ومنها ما نراه
الى اليوم يسحب مطارف العزة ، ويشرف على العالم بالامر والنهي من

(١) من مقالات العروة الوثقى الحكيمة

شواهد القوة

فن الناس من تجلي له هذه الشؤون وتلك الاطوار كما تعرض عليه الصور والتماثيل ينسبط لبعضها اذا اعجبه وينقبض للآخر اذا انكره وهو في غفلة عن منشأ ظهورها وعلل انقلابها . فان سئل عن السبب قال : سبحان الله هكذا كان وهكذا يكون وما هو الا بخت يسعد فيسعد به السعداء وينحس فيتبس به الاشقياء

ومنهم من تنفذ بصيرته الى الحقيقة فيقف على ماهيأ الله من الاسباب التي تتبعها احوال الامم في صعودها وهبوطها ويعلم ان ما سبق من الخير لامة انما كان بايدي احاد من امثالها جدوا وجاهدوا وبما بذلوا من نفائسهم وانفسهم فازوا بتأصيل المجد لشعوبهم وبني جنسهم ويرى لاولئك الاعلام ذكرا يرفع ومكانة من القلوب تحمد وتميزاً عند الخلف بالكرامة وهم لم يخالفوا الناس في جسورهم ودمائهم وانما تقدمهم بهمهم وقد يسوقه الاعتبار الى الاقتداء بهم رغبة في اقتطاف ثمار الثناء وتخليد الذكر فاذا اخذ مأخذهم واستقام على طريقهم فلا يكاد يخطو بسض خطوات ومبدأ المسير تحت نظره حتى تتعثر اقدامه في ابياد مقطعة ورؤس مجذوة واشلاء مبددة وشعور منشورة وصدور مدفوقة ويشهد الطريق مضرسة يقبور الشهداء من طلاب الحق والناهجين في منهاجه ولا يحيص له عن سلوكها وتبدو له غابات وادغال يرجع اليه منها صدى زفير الاساد وزججرة الضراغم ولا بد له من اختراقها

هكذا تتكشف لطالب المعالي موحشات مدهشات مصاولة المخاطر ادناها ، والموت الشريف اقصاها واعلاها ، فتارة يخور عزمه ، ويضعف

هم ، فينكص على عقبيه ، ويرتد الى اسوأ حاله ، ويرتفع في مراتع امثاله حتى يروح الى عطنه الاول به وهو العدم ، وتارة يوحى اليه الالهام الالهي ان الشخص في خاصته والامم في هيئاتها ونوع الانسان في مجموعته تطالبها صورة الإبداع باعمال شريفة دونها اجهاد الانفس في السعي وحملها على مالا تهوى ومغالبة الاهوال والنوائل . وفيما اودع الله الانسان من القوى العالية والخواص السامية أكبر مساعد على ما تندفع اليه الهمة وتبث له الذريعة .

ان من أحياء الله بالحياة الانسانية كلما حاجته المصاعب لا يزداد الا حرصاً على قهرها كما ان صاحب الشتم لا يزيده الخصام الاحدة في الجدل واصراراً على اقناع الخصام . وكثير ممن على شكل الانسان يجي حياته هذه بروح حيوان آخر وهو يعاني فيها من الشقاء اشد مما يعانيه الانسان في ابراز مزايا الانسان . ان صاعد الجبل ربما يجد شيئاً من الثعب ويخشى مفترسة الكواسر ولكن قد ينجو منها ويستريح على القنة ويتصمم بمكانة من الرفعة وتقتصر عنه يد المتناول . أما من اخلد الى السفلى فخطه من الحياة خوف لا ينقطع واشفاق لا يزول . كل لحظة توعدده بالسقوط في صيد الصائد والوقوع بين أنياب الغائل . مات من الناس كثير في طلب الغلا ولم ينالوا ، وبلغ كثير من الطالبين غاية ما أملوا ، ولكن هلك بالفتك اضعاف هؤولاء وهؤولاء ممن رثموا الخمول ورضوا بالحياة الحيوانية - هذه احاديث الحق ونفثات الروح الزكية تبث من أيده الله ووهبه نعمة العقل الى مداومة السير واقتناء أثر الماضين الى أشرف المقاصد فاما وصل واما مات كما يموت الكرام

لم تنل أمة من الأمم مزية من المزايا المحمّودة عند بني البشر سواء في العلوم والمعارف أو الآداب والفضائل أو القوازين والنواميس العادلة أو العسكرية وقوة الحماية حتى خرج آحاد منها إلى ما تخشاه النفوس وتهابه القلوب وسلكوا تلك المسالك الوعرة فبلغوا بأهمهم ، أقصى ما بلغت بهم همهم ، مع الاعتماد على العناية الإلهية في جميع سيرهم

ماذا يريد العانون في خدمة الأُمم أو النوع الإنساني والمنفقون لحياتهم في أعمال فادحة يمود نفعا على من يجمعه معهم جامعة الأمة أو الملة أو يشاركون في النوع ؟ أليس قد جعل الله لكل شيء سببا ؟ اليس من سنة الله في عباده أن لا تتجه الإرادة البشرية إلى حركة تصدر عن المرید إلا بعد تصوّر غاية تمود إلى ذاته وبعد اليقين أو راجح الظن بأنه يستفيد للغاية من العمل ؟ فإن كان الاجل يذهب في مساورة الآلام الروحية ، والعمر ينفد في مناهدة الاوصاب البدنية ، فإذا يتصدون من اعمالهم ؟ ان كان يوجد في ابناء جلدتهم ، وذوي ملتهم ، من يساعد حوادث الكون على ايلامهم ، ومما نعتهم في مقاصدهم ، وصددهم عن السعي فيما يرجع خيره إلى انفس المعارضين ويشحن فيهم جراح اللوم والتقريع ، والشتماتة والتشنيع ، او يدافعهم بالمسكافة والمنازلة فما الذي يتبعون من من جدهم وكدهم ؟ لا اذنة تجتني ، ولا ألم يتيق ، فما هذا الباعث القوي الذي غلب الاهواء ، ولم يضحفه جهد البلاء ؟

نعم اودع الله في الانسان ميلا اقوى من كل ميل وهو اخص خاصة فيه يمتاز بها عن غيره من الانواع وهو حب المحمّدة الحقة وحسن الذكر من وجوه الحق - أقول هذا تفادياً من حب المحمّدة من اي وجه

حقاً كان او باطلا وطالب الثناء بالزور والنفس والرياء والظهور بمظاهر
 الاخيار ، مع تبطن سراير الاشرار ، فان هذا من اسوأ الخلال وانما
 يمرض بعد اعتلال الفطرة وفساد الطبيعة
 المحمّدة هي الغذاء الروحاني ، والمقوم النفساني ، وكلما قرب الشخص
 من الكمال الانساني تهاون بالشهوات وازدرى اللذائذ الحسية وقوى فيه
 الميل الى المحمّدة الباقية وبذل الوسع فيما يفيدها من جلائل الاعمال * تأمل *
 ان القاضل يرى له في هذا العالم أجلين اقصاها الأجل المحدود من يوم
 ولادته الى نهاية العمر المقدر والآخر أبعد من هذا نهاية وبدايته عند ما
 ينجم من عمله الصالح أثر لمنفعة تشمل امته او تتم النوع الانساني وغاية
 هذا الاجل عند ما يمحي أثره من الواح النفوس وصفحات التاريخ .
 فلروح الفاضلة وجودان وجود في بدنها الخاص ووجود في جميع الابدان
 وهو ما يكون محلولها من كل روح محل الكرامة والتبجيل . ولا ريب ان
 هذا الاجل الطويل وهذا الوجود العريض خير من ذلك الأجل القصير
 والوجود الكثر^(١) وحقيق بالانسان ان يبيع ما هو أدنى بالذي هو خير .
 يطول بي الكلام فاقصر : ان الله الذي وهب كل نوع ما به كماله
 وضع في جبلة البشر ميلاً الى الحمد والهميم تأدية حقه لاستحققه . الم تر
 انطلاق الالسن في كل امة بالثناء على من كان سيّاً لها في مجد ورفعة
 او نهوض من سطة أو توحيد كلمة أو تجديد قوة او كمال في فضيلة أو تقدم
 في علم أو صنعة ويرسمونه في الالواح ويسجلون مدحته في بطون التواريخ
 ويرفعون له الهياكل والتماثيل ويحفظون له ذكراً حميداً يتناقله الابناء عن

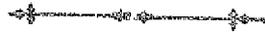
(١) الكثر اليابس والمنقبض . وكثر اليدن بجيل والمراد هنا ما لا خير فيه

الآباء حتى ينقرضوا أو ينقرض العالم . اذا جحدت الأمة حق العامل لها
أو قصرت في استئذان عمله ضمنت الهمم وقل السعي في المصالح العامة
وانقبضت الأيدي عن تعاطيها فهبط شؤون الأمة فافتقرت وماتت
ان الله جل شأنه قرن كل حادث بسبب فاذا استوى لدى الأمة
الحسن والتبجح والطيب والحيت والفضيلة والذيلة والمصاحبة والمفسدة
وفقد منها التمييز ولم تقدر أعمال العاملين حق قدرها ولم تعرف معروفاً ولم
تنكر منكراً سلبت آحادها الميل الى المعالي والكمالات وكان هذا أشد
نكابة بها من جور الظالمين ، وتقلب الغالبين ، ظلم الظالمين لا يدوم وسطوة
العالم لا تثبت اذا كان جمهور الأمة يقابل الاحسان بالاعتراف والفضل
بالحمد فانه يوجد منها من يشتري هذه المكافأة بتخليصها واتقادها . اما
فقد هذا الاحساس الشريف فهو أشبه علة بالهرم لا عقبي له الا الموت
والهلاك .

كيف لا تكون المحمودة الحققة نعمة على النفوس الانسانية يسمى لها
الأعلون من بنى الانسان وقد امتن الله بها على نبيه فيما يقول له « ورفعنا
لك ذكرك » وكيف لا تكون حقاً تطالب به الطبيعة وقد سمح الله لاستحقاقها
بالتحدث بنم الاعمال الصالحات كما سوغ ذلك لنبيه في قوله « وأما بنعمة
ربك فحدث »

قلب طرفك في تواريخ الامم أقصاها وأدناها تجد برهاناً قاطعاً على
ان الأمة متى بنحت قيم الاعمال العالية وازدري فيها بشأن الفضيلة فقدت
مابه قوامها وانهدم بناؤها وذهبت كما ذهب أمس ولا جرم ان الكفران
مقرون بزوال النعم

يمكنني ان اختتم كلامي هذا بكلمة شكر لهذه المصابة الطاهرة التي اقدمت في هذه الاوقات النحسة ووقفت على شفير الخطر وكتبت على نفسها السبي في توحيد المسلمين ويسرنا ان نرى عددها كل يوم في ازدياد نسأل الله نجاح اعمالها وتأيد مقاصدها انه نعم المولى نعم النصير



المحاوراة الحاديية عشرة آيين المصلح والمقلد

(الآخذ بالدليل ونهى الائمة عن التقليد)

لما ضم الشاب المصلح والشيخ المقلد المجلس الحادي عشر قال الشيخ (المقلد) : ان صديقي قد سافر وهو في حيرة لا يدري كيف يجمع بين ما اورده من نصوص ائمة الحنفية الصريحة في وجوب اتباع الدليل وعدم الآخذ بكلامهم الا بعد معرفة مأخذه من الكتاب والسنة والقياس الجلي وبين ما ذكره ابن عابدين في رسم المفتي وفي حاشيته على الدر المختار من تقسيم العلماء الى ست طبقات كل طبقة تقلد ما فوقها الى المجتهد المطلق الذي له الحق وحده بأخذ الحكم من الدليل . وقال : انا نرى في الكتب أقوالاً مثل هذه الاقوال الدالة على وجوب اتباع الدليل فنحسبها متروكة لأننا متقيدون بكتب مخصوصة واقوال علماء مخصوصين وحجر علينا الآخذ بقول غيرهم فضلاً عن اتباع الدليل استقلالاً حتى قالوا ان اجاث الكمال ابن الهمام الذي شهد له كثيرون ببلوغ مرتبة الاجتهاد المطلق لا يجوز العمل بها اذا ضادمت المنقول من نصوص المذهب وان كانت أبحاثاً مدللة وتلك النصوص لا دليل عليها بل هي مصادمة للدليل